

مقالة الرأي

حاضر ومستقبل ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط في ظل
الخيارات الصعبة (رؤية استراتيجية)

نعمه العبادي



تصدر عن مركز رواق بغداد للسياسات العامة
Published by Rewaq Baghdad Center for Public Policy

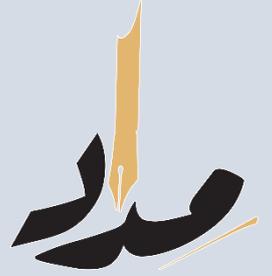
16 كانون الأول 2024

مداد مشروعٌ بحثي يعنى بتقديم اوراق وافكار دقيقة عبر سلاسل، وحلقات متكاملة، تحاول ان تغطي الطيف الواسع من المشكلات التي تواجه قطاعات الدولة العراقية بكل اركانها، ويعتمد بشكل اساس على اوراق السياسات العامة، والسيمنار، والحوارات المعمقة، بين مختلف الاطراف، من صناع القرار في الحكومة التنفيذية، الى التشريعيين في مجلس النواب، فضلا عن الباحثين والخبراء في الجامعات ومؤسسات البحث العراقية، وهو احد مشاريع مركز رواق بغداد للسياسات العامة، و يعد هذا المشروع امتداداً للجهود الذي بذل على مدى خمس سنوات من عمر المركز الذي تأسس في العام 2019، اذ قدم خلال تلك السنوات عشرات الدراسات والمشاريع البحثية والأوراق التي نشرت في الموقع الإلكتروني لمركز رواق بغداد.

رئيس المركز عباس العنبري

مدير المشروع انور المؤمن

تصميم اية الحكيم



تعود حقوق النشر الى مشروع مداد البحثي والمؤسسة المالكة له، وبالإمكان الاستفادة والاقْتباس الجزئي من الاعمال البحثية مع الاشارة اليها، بالنماذج العلمية المعتمدة في كتابة المصادر، كما تجدر الاشارة الى انه لا يجوز استعمال هذه الدراسات او اعادة نشرها بأي شكل من الاشكال دون الحصول على اذن مسبق من المركز بالنسبة للمؤلف او الباحثين الاخرين.

وفيما يتعلق بأخلاء المسؤولية القانونية تجاه الاشخاص الطبيعيين او المعنويين فضلا عن الاحداث والقضايا، فأن مشروع مداد والمؤسسة المالكة له (مركز رواق بغداد) لا يتبى بالضرورة، الراء الواردة في هذه الدراسات التي تحمل اسماء مؤلفيها، ولا تعكس وجهة نظر فريق العمل للمركز او مجلس ادارته.

يمكن تحميل هذه الورقة مجاناً من الموقع الإلكتروني www.rewaqbaghdad.org

رقم الهاتف: 07845592793

البريد الإلكتروني: info@rewaqbaghdad.org

صفحة الفيس بوك: مركز رواق بغداد للسياسات العامة

صفحة الإنستغرام: RewaqBaghdad

قناة اليوتيوب: Rewaq Baghdad



حاضر ومستقبل ما يسمى بمنطقة الشرق الاوسط
في ظل الخيارات الصعبة (رؤية استراتيجية)



د. نعمه العبادي

خبير الشؤون الامنية والاستراتيجية

على الرغم من ان (نهج الصراع) هو العامل الأساس الذي شكل معالم ومحددات هذه المنطقة، لكنه تضاعف بشكل مخيف ومرعب منذ أكثر من ثلاثين سنة، وقد تداخلت خطوط الصراع والاشتباك بشكل يصعب حتى وصفها فضلا عن فرزها وتحديد اسبابها، ويعود هذا التعقيد الى : (عدد ونوع الفاعلين المؤثرين، حجم وطبيعة الاهداف والغايات المقصودة، الخصوصيات الثقافية والدينية والسياسية والامنية للمنطقة وشعوبها، حجم تأثير العوامل الخارجية فيها، علاقة السلطة بالشعوب، تفردا في جملة من السمات والخصائص)، الامر الذي جعل من كل مقارنة تقدم تفسير عما يجري فيها، تحمل نحو من الصحة، لكنها، لا تقدم تفسيراً كاملاً وشاملاً، كما ان التوقعات والاستشرافات، تبدو شبيهة مستحيلة في ظل تحولات عميقة، تحدث خلال ازمة متقاربة، لذا يبدو النظر إليها من مسافة قادرة على رؤية المشهد بحجمه المناسب، تحدياً عظيماً امام من يريد رسم صورة لحاضر ومستقبل المنطقة.

توجد آلاف المقاربات التي تحاول الامساك بالمحور الرئيس لهذا الصراع، ومع هذا التعدد الواسع يمكن القول بأنها تتمثل في اتجاهين رئيسيين، الاول: يرى بأن الطاقة وتحديد النفط هي مركز صراعات المنطقة، والثاني: يقول ان الدين هو المركز وحوله تدور كل الصراعات الاخرى، ومما لا شك فيه، ان كلا من هذين الاتجاهين يعدد مراكز اخرى للصراع، لكنه يعدها ثانوية بالقياس الى المركز، واستنادا الى هذين الاتجاهين، تأتي القراءات والتحليلات ومقاربات الحلول .

يجد القائلون بمركزية الطاقة سهولة في توصيف المشهد وتشريحه، إذ تظهر مجموعة من المعطيات الموضوعية التي تساعد على هذه السهولة، فيما يعاني الاتجاه الثاني من صعوبة القبض على الشواهد والمعطيات التي تدلل على مركزية الدين، كما ان مقاربات الحلول صعبة، بل تكاد تكون مستحيلة في الكثير من الاحيان، فالبراغماتية متاحة بشكل كبير بناء على مقارنة الطاقة/النفط، لكنها متعذرة وصعبة على القول بالاتجاه الثاني، فهناك نتحدث عن المصالح وهنا نتحدث عن المبادئ، ويتجه المسار العام في منظور مركزية الطاقة الى ضرورة المحافظة على ايقاع الصراع، بينما يغذي الدين كمركز للصراع في الاتجاه الثاني حالة التوتر والتصيد الى اقصى ما يمكن، ويعمل على التعبئة بكل ما يملك من وسائل .

عند الابتعاد عن النظرة التجريدية وملامسة المشهد الواقعي نجد الآتي:

1. انخراط متفاوت للقوى الكبرى في احداث وشؤون المنطقة، وتغير مؤشرات هذا الانخراط من لحظة الى اخرى، لكن الاكيد بقاء الوجود الامريكي بأشكاله المختلفة حاضراً وبقوة في المنطقة، مهما تغيرت الادارات وتبدلت الظروف.
2. يمثل الامن التحدي الاكبر لدى دول وشعوب المنطقة، وتختلف مسببات فقدانه وتأمينه من بقعة الى اخرى.
3. السمة العامة تتمثل في وجود ازمة شرعية الحكم، إذ تعد معظم الانظمة مفروضة على شعوبها بالقوة.
4. تعتمد معظم الانظمة غير الشرعية على العامل الخارجي في الاستقواء على شعوبها.
5. هناك هشاشة واضحة في الحياة السياسية، ولا تزال كل الاحزاب والوجودات السياسية أدنى من كونها مؤسسات سياسية مؤهلة لممارسة الحكم بشكل مستقل.
6. تعيش شعوب المنطقة ازمت نفسية وثقافية واجتماعية، تنعكس على مجمل تفاصيل الحياة.

7. يمثل الكيان الغاصب المشكلة الاعدد من حيث: (طبيعة التعاطي الامثل معه، حجم الاخطار والتداعيات التي يفرزها وجوده، الانخراط العالمي غير المشروط في مساندته ودعمه، ارتفاع كلف مواجهته، حجم ونوع القدرات التي يمتلكها وحدود تأثيرها).
8. لا يتغير الوزن النوعي لحجم خطورة الكيان الغاصب سواء قيل بمركزية الطاقة او قيل بمركزية الدين.
9. معظم المقاربات التي تأتي لحل عقدة صراع المنطقة تأتي من الخارج، وتحديدًا من الفاعلين الخارجيين المنخرطين في المنطقة وشؤونها.
10. إن أكثر العوامل تأثيرًا والذي يجرد المنطقة كليًا من قواها الذاتية يتمثل بالانقسام حول خارطة الاعداء والاصدقاء والاطار والتحسينات، فما عند بلد او جماعة عدو، عند غيرهم صديق، وهكذا الحال بالنسبة للإخطار والتحسينات.

يتلخص حاضر المنطقة في: طغيان وجموح للكيان يدفعه بشكل جنوني لتحقيق رغبته المؤكدة في الاستيلاء على كل ما تصله قوته، وتحطيم وتدمير كل قوى وعناصر المواجهة والممانعة، مدفوعًا ومدعومًا بـ:

1. مساندة دولية غير مشروطة ومفتوحة لكل المتطلبات، وفي المقدمة تقف المساندة الامريكية والاوربية.
2. تخاذل وتآمر لطيف واسع من الحكومات العربية وعدد غير قليل من شعوب المنطقة.
3. ما حققه الحلف الصهيوني-امريكي من تصفية قيادات مهمة في المنطقة لها تأثيرها البالغ في معركة المواجهة. نجاح دعايته وحربه النفسية في تعزيز الانقسام بين الدول والشعوب، والتأثير البالغ للمجتمعات بها.
4. حجم التطور الاستخباري والتكنولوجي المسخر بين يديه سواء من قدراته الذاتية او مما يقدم له سخيا من الجهات الداعمة.

في المقابل هناك رغبة واضحة وصريحة لقطاع غير قليل من حكومات واجزاء من شعوب المنطقة، تؤيد وتدعم هذا الطغيان، وتؤمن على افعال الكيان وحماقاته، بل تتخادم معه بشكل واسع، ولولا هذا التخادم الواسع لما استطاع الكيان ان يمضي بالاتجاه الذي يسير إليه الآن.

يقف بالصد من هذين المسارين (الكيان وعملائه)، عدد محدود جدا من دول المنطقة، وتنخرط قوى وموجودات من شعوب دول المواجهة في الصراع مع الكيان بشكل عملي، إذ يتقدم الصفوف رجال الله في لبنان ومن يقف معهم، وتمثل إيران العامل (التكتيكي والاستراتيجي) الاهم في هذه المواجهة، طبعا هذا كله مع التسليم بالأهمية القصوى والحصرية للمقاومة الفلسطينية وتأثيرها الحاسم في الصراع.

ما بين هذين الاتجاهين، يوجد طيف واسع من الشعوب العاجزة او المتعاجزة، التي ترفض الكيان وسلوكه، لكنها غير مستعدة الى فعل من افعال المواجهة، كما انها منشغلة بشكل كلي في شأنها الخاص، والذي نجح المحور الصهيوني-امريكي في اشغالها به، وهي محبة للعافية، وتعتقد ان عدم الانخراط هو السبيل الاسلامي لبقائها.

تتحرك عدة ديناميات بموازاة الصراع مع الكيان في المنطقة منها:

1. التحولات الثقافية والاجتماعية التي تشهدها بعض دول المنطقة وفي مقدمتها السعودية.
2. استمرار وتزايد الهشاشة السياسية والامنية في الدول التي شهدت تغيير انظمة خلال الموجات الاخيرة.
3. بقاء جماعات الارهاب والعنف والتطرف مؤثرة بقدر غير قليل.
4. ميل جامح نحو التطبيع والتماهي مع الكيان الغاصب.
5. شعور باليأس أزاء بعض تجارب التغيير في المنطقة.
6. زيادة في انخراط العوامل الخارجية للتدخل في شؤون المنطقة.

تنحصر المقاربات التي تحف هذا المشهد ما بين مهادنة جبانة ورضوخ كامل، وبين مواجهة حمراء محفوفة بنزيف لا ينقطع، ويدافع كل من هذين الاتجاهين عن موضوعية مقاربتهم وجدواها.

منذ قرابة القرن من الزمن، ظلت اتجاهات الفهم المنقسمة بين محورية الدين ومحورية الطاقة/النفط، عاجزة عن كشف طلسم التأثير السحري لهذين العاملين في هذه المنطقة بالشكل الذي تظهر فيه، ونحت مقاربات سردية " النفط مصدر الصراع" الى الاعتماد بشكل الاكبر على التنسيق مع العوامل الخارجية، واعتبار الحاجة الى الطاقة ضمانة لأمنها، وإن اشراك العامل الخارجي في مغانمها شرطا وجوديا، وتفرع على ذلك، ان الرفاهية الاقتصادية تنتج عدالة سياسية وشعوب فعالة، فيما ذهبت مقاربات سردية الدين في الاتجاه المعاكس تقريبا، فحلولها تكمن في التحصين وتجريد العامل الخارجي من التأثير لأنه المتهم الاول في توظيف الدين للصراع، وعولت على بناء الامة بشكل اكبر من تعويلها على بناء الدولة، ووجدت في الأيديولوجيا طريقا للتماسك ورسم المواقف على خطوط واضحة لتحديد: (المع والضد).

استنادا الى بقاء محركات الحاضر التي تمت الاشارة إليها في العرض اعلاه، يمكن استشراف مستقبل المنطقة في الآتي:

1. استمرار غياب مشروع الدولة بالمعنى الناضج لهذا المفهوم، ويرافقه تراجع في التقاليد المؤسساتية لصالح اشكال جديدة من الحكم قائمة على شبيه ديمقراطيات.
2. تزايد انخراط العامل الخارجي في المنطقة، وارتفاع حدة الصراع في خطوطه المختلفة من اجل انتاج (تسويات حصصية على حساب حقوق شعوب المنطقة) تكفل للجميع سهمهم من الكعكة.
3. تزايد تغول الكيان وعنجهيته خاصة مع الصمت العالمي والانبطاح العربي واتساع رقعة المطبعين.
4. ارتفاع كلف المواجهة لمحور الشرف والعزة، ولكن ذلك يساعد في انتاج اشكال جديدة من المواجهة لها معطيات عالية من الردع واجهاض فعل الكيان ومسانديه.
5. يبقى الدين والنفط محركان رئيسان لكل صراعات المنطقة، وسيكون الصراع المرتكز على الدين أكثر ضراوة وشراسة.

6. تخدم معظم التحولات الدينية والثقافية والاجتماعية التي تفرضها بعض الانظمة مصالح التدخل الخارجي وتتخادم معها.

7. تتزايد فاعلية التكنولوجيا بوصفها أكبر من اداة، إذ تساهم في رسم انماط تصورات المجتمعات تجاه معظم القضايا.

8. تتراجع اسئلة الحياة السياسة لصالح تقدم اسئلة الحياة الشخصية، وتتزايد مطالبات الحرية ولو على حساب مشروع الدولة، ويتناقض ضوء المجتمع لصالح سطوع نجم الفرد.

ان هذه المسارات ليست قدرا حتميا لا مفر منه، كما انها ليست نتائج محسومة، بل هي نهايات موضوعية للأوضاع الحالية، لكن هناك بالإمكان فسحة واسعة لتغيرها كليا بالاتجاه الذي يقلص، بل ينهي سطوة العامل الخارجي ويكسر شوكة الكيان وربما يمحوه كليا، وذلك يتحقق من خلال الآتي:

- اعتبار مشروع الدولة بمفهومها الكامل والمستند الى الدستور الذي يعبر بصدق عن وجهة نظر الشعوب بمختلف تلوناتها، مطلبها اساسيا ورئيسا وبوصلة نضال لكل شعوب المنطقة.
- اجراء تغييرات في كل دول المنطقة ذات الحكومات الشمولية او القائمة على التوريث والتعيين، لصالح ديمقراطيات تمثيلية، عادلة وشاملة، على ان تكون عملية التغيير مستندة الى جهود داخلية ونابعة من صميم الشعوب بعيدا عن تدخل العوامل الخارجية.
- الابتعاد عن المقاربة المستوردة التي تلهث خلف علمانية زائفة، وتقديم تصورات موضوعية تأخذ بنظر الاعتبار الخصوصية الدينية والثقافية لشعوب المنطقة من خلال اعطاء الدين موقعه اللائق والمناسب والفاعل في بنى الدولة.
- العمل الجاد على نزع مخالب الطائفة والمذهبية والصراعات الجماعية لصالح نهج الاخوة ووحدة المعتقد وعلوية التوحيد.
- اتخاذ موقف واضح وصريح وعملي من جماعات الارهاب والتطرف والعنف.
- اعادة الكيان الغاصب الى موقعه الحقيقي في قائمة الاعداء والاصدقاء بوصفه العدو الاول والاهم والأخطر وغير القابل للمصالحة مطلقا.
- يتفرع من النقطة سادسا، اعتبار خيار المواجهة والمقاومة نهجا شعبيا يرتكز على رؤية الدولة والدين، وحشد كل طاقات الامة من اجل حسم المعركة مع العدو.

اخيرا: اتمنى من الباحثين والمختصين ان يوسعوا البحث في التفاصيل والاشارات التي تضمنها المقال من اجل بناء رؤية معرفية استراتيجية، تشكل ارضية مناسبة لحراك منتج، كما ارجو من كل المهتمين اقتطاع فقرات ونصوص من هذا المقال وتوسيع نشرها ليسهل تداولها من قبل عامة القراء.